الفصل الرابع

أين كان المسلمون يتعلمون

التعليم فى البيوت :

فى بدء الاسلام كان التعليم الدينى فى الدور والبيوت فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم مكانا يتقابل فيه مع أصحابه وتابعيه من المسلمين ليعلمهم قواعد الدين الاسلامى ويقرئهم مانزل من القرآن الكريم ٠

وبالاضافة الى دار الأرقم كان الرسول يجلس فى بيته بمكة ويجتمع المسلمون حوله ليعلمهم ويزكيهم ٠

ولما كانت البيوت قد أعدت للهدوء والراحة وقد يتضايق من فيها اذا قصدها كل يوم أحد المعلمين لتعليم بعض الابناء بدعوة من الآباء ، رأى المسلمون ان البيوت لاتصلح لتكوين حلقة فيها يقصدها طلاب العلم للتعلم بها وتلقى الدروس فيها ٠ فوجود الطلبة يؤدى الى الحركة والضوضاء وازعاج من فى البيوت واقلاق راحتهم ٠ وهذا هو المراد من قوله تعالى : «يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه(١) ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم ٠ والله لايستحيى من الحق(٢) » ٠

فالبيت موضع احترام وهدوء واستقرار لابد فيه من الاستئذان ٠ ولدخوله آداب اسلامية يجب التفكير فيها ، والعمل بها ٠ فالبيوت لاتصلح لان تكون أمكنة للتعليم العام ٠ ولكن عند الضرورة يجعل من البيت مكانا للتعليم الخاص ٠

لهذا كان التعليم فى المساجد والجوامع والمعاهد ودور الحكمة ودور العلم ودور الكتب والمنتديات والكتاتيب والمدارس ٠

وحينما جاء الاسلام كان عدد من يعرف القراءة والكتابة من أهل قريش سبعة عشر رجلا ولكن الدين الاسلامى شجع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة واجادتهما فبدأت القراءة والكتابة تنتشران فى جزيرة

---

(١) غير منتظرين نضجه ٠

(٢) سورة الاحزاب آية ٥٣ ٠

العرب ، كى يستطيع رواة الحديث الشريف أن يضبطوا ما يكتبون من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بكل دقة ٠

وكان المسلمون اذا أرادوا تعليم أبنائهم أرسلوهم الى الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة ، أو الى المساجد ليحضروا ما بها من حلقات علمية ودينية أو الى بيوت العلماء لتلقى العلم عنهم أو الى المكتبات والحوانيت التى تباع فيها الكتب للبحث والقراءة والاطلاع والاتصال بمن فيها من العلمـــاء والادباء أو الى المنتديات الادبية وقصور الخلفاء والاغنياء لاستماع ما يلقى فيها من المحاضرات والمناظرات والقصائد الشعرية ، أو الى البادية للأخذ عن الشعراء والكتاب ماجادت به قرائحهم من الشعر والنثر ٠ وسنتكلم عن كل منها فيما يأتى :

التعليم فى الكتاتيب :

كانت الكتاتيب قبل الاسلام لتعليم القراءة والكتابة وبعد الاســلام زيد عليهما تحفيظ الاطفال القرآن الكريم وتعليمهم الدين الاسلامى والخط والحساب ومبادىء اللغة ٠٠ فالكتاب أو المكتب هو المعهد الاولى الذى يتعلم فيه المبتدئون القرآن الكريم والقـــراءة والكتابة ومبـــادىء الدين واللغة والحساب والخط ٠

وكانت العناية بتعليم الخط كبيرة لانه فن من الفنون الجميلة ، وكان له معلم يختص بتعليمه ، ولا يشتغل بغيره ٠ وقد استخدم الرسول الكريم المسلمين الذين يستطيعون الكتابة والقراءة ، فى كتابة ماكان يمليه عليهم من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وكان عددهم قليـــلا فاضطر الرسول الى أن يستعين بغير المسلمين من اليهود والمســـيحيين فى تعليم المسلمين الراغبين فى التعلم ــ القراءة والكتابة ٠

وفى غزوة بدر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلف الأسرى الذين يعرفون القراءة والكتابة من أهل مكة ممن لم يعتنقوا الدين الاسلامى أن يفتدوا أنفسهم بتعليم عدد من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ٠

وأول معلم للخط كان من وادى القرى(١) أقام بها وعاش فيها وعلم الراغبين من أهلها الخط ٠ وكان المعلمون يعلمون الصبيان الخط بالنقل

---

(١) وادى القرى : موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام .

من الكتب الشعرية وغيرها لتنزيه كتاب الله عز وجل عن ابتذالهم له باثباته وكتابته ثم محوه ٠

وكان اللوح يستعمل فى الكتابة منذ زمن قديم فقد قالت أم الدرداء انها قد كتبت على اللوح عبارات فى الحكمة ٠ ليحاكيها تلميذ كانت تعلمه القراءة والكتابة ٠

وبعد معرفة القراءة والكتابة كان التلاميذ يقرءون القرآن الكريم ، ويكتبون كل يوم قدرا منه فى ألواحهم ويحفظون مايكتبون ٠ وبهـــذه الوسيلة كانوا يدربون على القراءة ويتعلمونها، ويحفظونالقرآن ويحسنون خطهم ٠ فقد كان الاطفال فى الكتاب لايجدون غيره من الكتب ، فهو كتاب للمطالعة وكتاب للمحفوظات ٠ ومع القراءة والكتابة كانوا يحفظون بعض أحاديث الرسول الكريم ويدرسون قصص الانبياء ويتعلمون قواعد اللغة العربية ومبادىء الحساب ٠

وفى العهد الاسلامى وجد المتعلمون الذين يحسنون الخط تشجيعا كثيرا وعينوا فى بعض المناصب والوظائف ودونوا أحاديث الرسول ، ونقلوا الكتب التى يطلبها الخلفاء منهم ٠

وفى عصر الترجمة قام المثقفون الذين يجيدون بعض اللغات الاجنبية بترجمة بعض الكتب الثمينة الى اللغة العربية ٠

وللجاحظ اثر كبير فى النهوض بتعلم القراءة والـكتابة والحساب والاقبال عليها وقد قال فى رســـالة المعلمين « ولولا الكتاب « الكتابة » لاختلت أخبار الماضـــين وانقطعت آثار الغابرين ٠٠ وقد راينـــا عمـــود صلاح الدين والدنيا انما يعتدل فى نصـــابه ويقوم على اساسه بالكتاب والحساب » ٠

وقال أبو بكر بن العربى العالم الاندلسى : « وللقوم فى التعليم سيرة بديعة ، وهى أن الصغير منهم اذا عقل بعثوه الى المكتب ، فيتعلم الخط والحساب والعربية فاذا حذقها كلها أو حذق منها ماقدر له خرج الى المقرىء فلقنه كتاب الله فحفظ منه كل يوم ربع حزب أو نصفه أو حزبا » ٠

وفى الوقت الذى كان المعلم يخصص حجرة من منزله، ويجعلها كتابا لتعليم الاطفال الراغبين فى التعلم ، كان فى كتاب أبى القـــاسم البلخى ٣٫٠٠٠ تلميذ ومعنى هذا ان الكتاب فى الغالب كان حجرة واحدة أو أكثر فى النادر وكان كبيرا فسيحا جدا يتسع لآلاف التلاميذ ٠

وقد ازداد عدد الكتاتيب وعدد المعلمين في القرن الثانى الهجرى، والقرون التى بعده حتى صار فى كل قرية كتاب أو أكثر ٠

قال الامام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ : « كنت يتيما فى حجر أمى. فدفعتنى فى الكتاب ٠٠ فلما ختمت القرآن دخلت المسجد لطلب العلم والتوسع فى الثقافة الدينية » ٠

فالكتاب كان المكان الاول لتعليم الاطفال القرآن وكان للكتاب منزلة كبيرة لان تحفيظ القرآن فيه كان أمرا هاما فى الاسلام ، وقد ورد فى بعض المراجع العربية أن الحجاج بن يوسف المعروف كان معلما بأحد الكتاتيب يأخذ الخبز من الاطفال أجرا له فى حين كان عبد الله بن الحرث يعلم الاطفال ولا يقبل منهم أجرا ٠ وقد أشار المقريزى الى عدد من الكتاتيب التى كانت ملحقة بالمساجد فى مصر فى عصر المماليك لتعليم الفقراء واليتامى من الاطفال القرآن الكريم ويؤخذ من هذا أن المسلمين كانوا يشجعون نشر التعليم وأن الفقر أو اليتم لم يكن عقبة فى سبيل التعلم فكما كان الاغنياء والقادرون يتعلمون كان الفقراء يجدون الفرصة فى التعلم وحفظ القرآن وطلب العلم ٠

وقد أسهم كثير من المسلمين فى انشاء الكتاتيب لتعليم الاطفال ، وتنافسوا فى بنائها للتقرب الى الله ، ونشر التعليم بين الاغنياء والفقراء على السواء وكانت الكتاتيب تلحق بالمساجد حينا وتبعد عنها أحيانا ٠ وكان المعلمون من المسلمين ينظرون الى الاطفال نظرة واحدة من غير تفرقة بين الغنى والفقير منهم ، نظرة المساواة فى المعاملة والتعليم ٠ فالتربية فى الاسلام تربية ديمقراطية لاتعرف التفرقة ولا تعرف نظام الطبقات ٠ ولم يكن لدى المسلمين مدارس خاصة بالاغنياء والاشراف ومدارس عامة للفقراء بل كانت المدارس لجميع الطبقات من أبناء المسلمين يتعلم فقيرهم مع غنيهم فى مكتب واحد ومدرسة واحدة وفصل واحد من غير تمييز لهذا على ذاك ٠ فمبدأ المساواة والعدالة والديمقراطية وتكافؤ الفرص كان مراعى لدى الجميع ٠ فالتعليم فى الاسلام لم تستأثر به طبقة لأنها غنية ولم تحرمه طبقة لأنها فقيرة ٠

وفى الاسلام لم يكتف بتعليم الاطفال بالمجان ، فقد كان الطعام والكساء يقدمان لهم فى بعض الكتاتيب ٠

والتعليم فى الاسلام فرض على كل مسلم ومسلمة ، فرض على البنين والبنات فكما يعلم الابناء فى مدارس البنين تعلم الفتيات فى مدارس البنات منعا للمضار التى تنشأ عن اختلاط الجنسين ٠

ولم يمنع هذا النظام الاغنياء والامراء من تعليم أولادهم فى بيوتهم التعليم الذى يريدونه وتحفيظهم القرآن على أيدى معلمين خاصين ، وقد كان الحجاج معلما لاولاد سليمان بن نعيم وزير عبد الملك بن مروان ٠

وفى العصور الاسلامية الأولى كان بعض المعلمين يقومون بالتعليم بدون أجر ابتغاء مرضاة الله وبعضهم يقبلون أجرا زهيدا حتى يحصلوا على الضروريات فى الحياة ٠

حفظ القرآن الكريم فى الكتاب :

وكان القرآن الكريم يحفظ فى الكتاب ٠ وكان حفظه كله فى العصر الاسلامى الاول نادرا لان الصحابة كانوا يعنون بفهم معانى الآيات القرآنية والعمل بما يستنبط منها أكثر من الحفظ ٠ وقد قال ابن حنبل : كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ، ، أى عظم بيننا ٠ قال جل شأنه : « كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته » ، فالغرض الرئيسى هو التدبر فى الآيات والتفكير فى المعنى المراد من كل منها وتنفيذ ماجاء به القرآن من أحكام ٠

وللتشجيع على حفظ القرآن كان من يحفظه يقدر حق قدره وتسند اليه بعض الاعمال العظيمة كالافتاء ٠ وكان الحفاظ يسمون القراء لانهم كانوا يقرءون القرآن ويعرفون الناسخ منه والمنسوخ والمتشابه والمحكم ، ويفهمون معانيه وما تدل عليه كل آية منه ٠ ولا عجب فقد كان العرب قبل الاسلام أميين لايقرءون ولا يكتبون ، وبعد الاسلام أخذوا يتعلمون القراءة والكتابة ويدرسون الشريعة الاسلامية ويستنبطون الاحكام الدينية ويضعون الفقه الاسلامى ويطلقون على القراء اسم فقهاء وعلماء .

التعليم فى المساجد والجوامع :

فى العصر الاسلامى الاول كان الصغار يجلسون مع الكبار فى حلقات المساجد للتعلم ٠ ومن تعلموا فى المسجد على بن أبى طالب وعبد الله ابن عباس ٠

وان للتربية الاسلامية صلة كبيرة بالمسجد فقد اتخذه المسلمون بيتا لعبادة الله والتقرب اليه ومعهدا للثقافة الاسلامية والتربية الدينية تدرس فيه قواعد الاسلام واحكام الدين وجعل محكمة للقضاء العادل وميدانا لاجتماع الجيش الباسل وبيتا لاستقبال السفراء ، ومركزا للحياة الروحية والاجتماعية والسياسية وقد أطلق على المسجد «بيت الله» فلا يحتاج أحد الى الاستئذان حينما يدخله للعبادة أو الدراسة أو غيرهما ٠

وأول مسجد بنى فى الاسلام هو مسجد قباء(١) وكانت تعقد فيه حلقات دينية ٠ وحينما دخل الرسول عليه السلام المدينة المنورة بنى مسجده بالمربد ليشجع المهاجرين والانصار على النشاط والسرعة فى العمل ٠ وكان من عادة الرسول أن يجلس فى مسجده بالمدينة ليعلم أصحابه دينهم ودنياهم ٠ وبانتشار الاسلام انتشرت المساجد فى البلاد الاسلامية ٠

ولما كان الاطفال لايتحفظون من النجاسة فقد وصى كبيرون ألا يكون التعليم فى المسجد ٠ وقيل انه لايجوز تعليم الاطفال فى المسجد لان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لانهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات ، بل يتخذون للتعليم أمكنة فى الدروب وأطراف الاسواق ٠ وحينما منع المعلمون من التعليم فى المساجد اتخذوا لهم زوايا متصلة بها أو حجرا ملتصقة بها لتعليم الاطفال ٠ وان من يقرأ رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة يجد فيهما كثيرا عن الحلقات التى كان الاطفال يجتمعون فيها فى المسجد ويلتفون حول معلم من المعلمين يعلمهم القرآن الكريم مع الاحتراس من لعب الاطفال فى المسجد ٠

وللمحافظة على المساجد والجوامع جعلت لتعليم الكبار من الطلبة التعليم الدينى والعربى الثانوى والعالى بدون أجر مع منحهم بعض المنح المالية والعطايا لمساعدتهم على الاستمرار فى طلب العلم ٠

قال العبدى (٢) : «أفضل مواضع التدريس هو المسجد لأن الجلوس للتدريس انما فائدته ان تظهر به سنة أو تخمد به بدعة أو يتعلم به حكم من أحكام الله تعالى والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوافرا لانه موضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم» ، وهو يقصد بذلك تعليم الكبار من الطلاب تفسير القرآن ودراسة الحديث والفقه والشريعة

---

(١) موضع بالحجاز ٠

(٢) فى كتابه المدخل ج ١ ص ٨٥ ٠

الاسلامية مع مراعاة مبـــادىء التربية فى الاســـلام ، وهى المســـاواة والديمقراطية وتكافؤ الفرص ، والحرية فى تلقى العلوم واختيار مـواد الدراسة والاساتذة والتحرر من المؤثرات المالية ٠

وحينما انتشر الاسلام كثرت المساجد ، وبنى المسلمون مسجدا أو أكثر فى كل مكان حلوا به ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر قواده بانشاء المساجد فى جميع البلاد والمدن التى يفتحونها ٠ وفى القرن الثالث الهجرى امتلأت بغداد وكانت الحال فى مصر كالحال فى بغداد ٠

١ ـ وأول جامع بنى فى القاهرة هو جامع عمرو بن العاص ٠ وقد بناه سنة ٢١ هـ بأمر من عمر بن الخطاب بعد فتح مصر ٠ ثم جدد ذلك الجامع وزيد فى بنائه بعد ذلك عدة مرات وبدأت الدراسة الدينية والخلقية فيه سنة ٣٦ هـ ثم اتسع التعليم فيه بالتدريج ٠

وكان مسجد عمرو مركزا للثقافة ، ومحكمة للقضاء . وكان به أكثر من أربعين حلقة دراسية للتعليم يؤمها الطلبة للدراسة والبحث ٠

وقد بين المقريزى فى خططه بعض التفاصيل عن ثمانى حلقات كانت تدرس فيها العلوم المختلفة بجامع عمرو بن العاص نذكر قليلا عن حلقتين أو زاويتين منها وهما :

(أ) حلقة الامام الشـــافعى وقد نسبت اليه لان الشـــافعى قام بالتدريس فيها سنة ١٨٢ هـ وكانت تسمى بالزاوية ولها أرض موقوفة عليها بناحية سندبيس ٠ وكان أعيان الفقهاء وجلة العلماء يتولون التدريس فيها ٠ وكانت مملوءة بطلاب العلم والدين ٠

(ب) الزاوية الصاحبية وقد أعدها الصاحب محمد بن فخر الدين وعين لها اثنين من المدرسين ، أحدهما شافعى لتدريس الفقه على مذهب الامام الشافعى والآخر مالكى لتدريس الفقـــه على مذهب الامام مالك ، ووقف عليها وقفا خاصا بالزاوية ٠

وحينما وفد محمد بن جرير الطبرى على مصر قام بالتدريس فى جامع عمرو بن العاص وظهر فضله فى تفسير القرآن الكريم وتدريس الحديث والفقه وعلمه بالفقه واللغة والنحو الشعر ٠ وكان يملى على طلبته ما أرادوا من المباحث فى أية مادة من تلك المواد ٠

٢ ـ ومن الجوامع التى اشتهرت بالتدريس فيها جامع أحمد بن طولون وقد كمل بناؤه سنة ٢٥٦هـ ، وقام الفقهاء والعلماء بالتعليم فيه ٠ ويروى

السيوطي(١) ان دروسا مختلفة قد نظمت ورتبت فيه منهـــا التفسير والحديث والفقه على المذاهب الاربعة ، والقراءات والميقات والطب ٠

الجامع الازهر :

وهو مسجد عالمي أنشأه القائد جوهر الصقلي بالقاهرة في عهد المعز لدين الله الفاطمي ٠ وكان الشروع في بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ وسنة ٩٧٠ م وكمل بناؤه سنة ٣٦١ هـ وسنة ٩٧٢ م وفي سنة ٧٦١ هـ في عصر الملك الناصر قلاوون أنشيء بالازهر مكتب لتحفيظ اليتامى من المسلمين القرآن الكريم ورتب للفقراء من الطلبة طعام يطبخ لهم كل يوم ، ونظمت فيه دروس للفقهاء من الحنفية ، ووقفت عليه أوقاف كثيرة ٠ وفي ســـنة ٨١٨ هـ بلغ عدد طلبته ٧٥٠ طالبا من مصريين ومغاربة وزيالعة وعجم ، وكان لكل طائفة منهم رواق خاص يعرف بهم ٠

وكان الجامع الازهر عامرا بتلاوة القرآن الكريم وتلقينه ودراسته والاشتغال بالتفسير والحديث وعلوم الفقه والنحو ٠

ولا يزال هذا الجامع ملحوظا بالرعاية مقصودا للدراسة والاستفادة والبركة والعبادة ٠ فحتى العقد الثاني من القرن العشرين كانت عبادة الله لاتنقطع فيه لحظة واحدة ليلا أو نهارا ٠ ففي كل لحظة تقصد الازهر كنت تجد من يصلي ويعبد الله أو يدرس عند القبلة القديمة أو الجديدة أو غيرهما ٠٠

وقد استمر الجامع الازهر يزداد شهرة في الآفاق ، يقصده الطلبة من جميع البلاد الاسلامية ، لتعلم العلوم الشرعية والعقلية والنقلية عـلى أيدى جهابذة العلماء المتفرغين للدراسة والتعليم ابتغاء مرضاة الله ٠ ٠ وازداد الاقبال عليه من المصريين وأهل الحجاز واليمن والشام والسودان والمغرب وبغداد وتركيا وكردستان والسند والهند والعجم والافغـــان وجاوه ٠ وتقاطر اليه الطلبة من جميع المذاهب الآسلامية للتبحر في العلوم الفقهة وغيرها ، وظهر فيه طلبة بارعون وعلماء عاملون ٠ فهو الجامع الذى جمع الطلبة من جميع انحاء العالم الاسلامي وهو الازهر والجامعة الاسلامية الكبرى ٠ به زال الجهل في عصور انتشرت فيها الجهالة ، وصارت حيـاة

---

(١) في كتابه حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٨ ٠

العلم خالدة وتأدبت نفوس طاهرة وكملت قرائح صافية وحفظ العلم والعلماء وصفت الافكار وظهرت الاسرار وكسب الشرف وعظم القدر فكثيرا مابزغت فيه شموس وأقمار ، وغردت فيه بلابل المتعلمين والمعلمين في العشى والابكار والاسحار ٠

وفي سنة ١٢٩٣ هـ و ١٨٧٥ م أحصى عدد العلماء والطلبة في الازهر فكان عدد العلماء ٣٢٥ وعدد الطلبة ١٠٧٨٠ تقريبا ٠

وفيما مضى كان لكل مذهب من المذاهب الاربعة أعمدة معينة لايجلس للتدريس بجانبها غيرهم ٠ وكان الطلبة اذا جلسوا في حلقة حول الشيخ قال في بدء الدرس : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ثم أخذ يشرح الدرس ويوضح ماعينه لهم في الدرس السابق وقرأ لهم التعيين في الكتاب وقابلوا عليه الدرس بكل دقة وسألوه عما صعب عليهم من الاسئلة وشرح لهم مابدا أمامهم من الصعوبة ٠ وبعد الانتهاء من الدرس يعين لهم درسا لاعداده لليوم التالي ويقبل الطلبة يد شيخهم ويطلبون منه الدعاء لهم ولو كانوا كبارا ٠

فالطلبة كانوا يحترمون أساتذتهم ويجلونهم كل الاجلال والاساتذة كانوا من العلماء المخلصين الأجلاء ٠ الذين يعاملون الطلبة معاملة الابناء ٠

وكان الطالب حرا في اختيار أساتذته ، يختار من يشاء ، ويجلس في الحلقة التي يريدها ، ويعتمد على نفسه في اعداد دروسه ، ويطلب العلم لذات العلم وليس لديه امتحان شهري أو سنوي ولم يكن هناك من يحاسبه على الحضور أو الغياب وتختلف سعة الحلقة باختلاف العلماء ومهارتهم وكان الطلبة يحفظون كثيرا من المتون في المواد المختلفة لاعتقادهم أن من حفظ المتون حاز الفنون ٠

وقبل أن يحضر الطلبة حلقة الدرس كانوا يعدونه اعدادا تاما بحيث يقرءون المتن وشرحه وما كتب عليه في الشرح والحاشية مرة أو أكثر جماعات أو فرادى ٠ واذا وجدوا صعوبة ولم يستطيعوا حلها سألوا الشيخ عنها وقت الدرس ٠ وكان الشيخ يعد درسه في عدة كتب ويطلع على كثير من المراجع حتى يستحضر أطراف المسائل ويستعد للاجابة عن الاسئلة التي يسألها الطلبة أو الاعتراضات التي يعترضون بها ٠

وكان من عادة الأذكياء والنابهين من الطلبة أن يطالعوا للباقين درس الشيخ مطالعة بحث وفهم وتدقيق حتى يأتوا الى الشيخ وهم

مستعدون كل الاستعداد لما يلقيه عليهم من الآراء والافكار · وتعد هذه الطريقة الازهرية القديمة من أحدث الطرق فى التدريس فى القرن العشرين وتتفق فى كثير من المبادىء مع طريقة دلتون فى التربية الحديثة ·

وكان لا يتصدر للتدريس الا العلماء المعروفون بسعة الاطلاع وغزارة المادة والقدرة على حل المشكلات العلمية والاجابة عن كل اعتراض من الطلبة الذين يجتمعون حولهم· وفى النهايةعمل قانون للامتحان بحيث يمتحن كل من يريد التدريس من المستجدين فى أحد عشر علما وهى : التفسير والحديث والاصول والتوحيد والفقه والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والمنطق · ومن أراد الدخول فى الامتحان بعد الانتهاء من حضور (السعد) و (جمع الجوامع) قدم التماسا لشيخ الجامع الازهر بانه يريد الدخول فى حومة العلماء المدرسين وأنه حضر كذا وكذا من العلوم فيسأل الشيخ عن أحواله ممن يعرف حقيقة أمره من أساتذته ثم يعين له من كل علم درسا ويحدد له ميعادا يطالع فيه ، ويجعل لكل علم يوما وبعد نهاية الأحد عشر يوما يعقد الامتحان ويجعل مريد الامتحان بمنزلة الشيخ ، والعلماء بمنزلة الطلبة له فيبدأ بالقراءة وهم يسألونه وهو يجيبهم وقد يستمر الامتحان اثنتى عشرة ساعة لا يقوم فيها الطالب الا لنحو الصلاة او تناول الطعام فاذا أجاب اجابة جيدة فى كل علم كتبوه من الدرجة الاولى واذا لم يجب جيدا فى جميع العلوم كتب من الدرجة الثانية واذا اجاب اجابة متوسطة كتب من الدرجة الثالثة · واذا لم يجب ذلك الممتحن أمر بالقيام من المجلس ولم يؤذن له بالتدريس ·

وقد حملت هذه الطريقة فى الامتحان الطلبة على الجد والاجتهاد فى التحصيل والقراة والاطلاع وسهر الليل حتى منتصفه للتبحر فى العلم · وكانت عنايتهم كبيرة بفهم العبارات وحل التركيبات وكثرة المناقشات بالاعتراضات والأسئلة والأجوبة ·

وكان من العادة أن يجعل الصباح المبكر للتفسير أو الحديث والضحا للفقه وتجعل الدراسة فى الظهر للنحو أو المعانى أو البيان أو البديع أو الأصول وبعد العصر تدرس العلوم الحديثة وبين المغرب والعشاء تدرس مواد اختيارية مختلفة ويتمرن كبار الطلاب على التدريس للمبتدئين منهم ·

وللأزهر عدة قوانين منها قانون سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م وفيه عد الجامع الازهر المعهد الدينى للعالم الاسلامى الاكبر والغرض منه :

١ ـ القيام على حفظ الشريعة الغراء وعلى تعليم اللغة العربية ٠

٢ ـ تخريج علماء يوكل اليهم تعليم هذه العلوم وتولى الوظائف الشرعية فى الدولة ٠

ويطلق اسم الجامع الازهر على كليات التعليم العالى وهى : كلية أصول الدين وكلية الشريعة وكلية اللغة العربية ٠ ويتبع كل كلية قسم التخصص فى المواد التى تعنى بها هذه الكلية ٠ ويطلق اسم « المعاهد الدينية » على المعاهد الابتدائية والثانوية التى تعد الطلبة للحاق بالجامعة الأزهرية ٠

ولم يكن فى الأزهر قديما شروط خاصة بالسن أو المؤهلات ٠ وهو حتى وقتنا هذا يعد جامعة من أقدم جامعات العالم ومن أولى الجامعات الاسلامية ويقول الخطيب البغدادى : ان درسا فى الطب كان يلقى فى الأزهر عند منتصف النهار من كل يوم (١) ٠

جامع المنصور ببغداد :

وقد شيده ابو جعفر المنصور وجدده هارون الرشيد وزاد فى مبانيه وأصلحه ٠

وكان ذلك المسجد قبلة أنظار الاساتذة والطلاب وكانت له منزلة سامية فى نفوس العلماء والشعراء ٠ وقد قيل : ان الخطيب البغدادى حينما حج شرب من ماء زمزم وسال الله أن يحقق له ثلاثة أمور منها أن يعطى الفرصة فى أن يملى الحديث الشريف بجامع المنصور ٠ وكان الكسائى يجلس فى ذلك المسجد ليقرأ للطلبة علوم اللغة وكان أبو العتاهية يملى شعره فيه ٠

الجامع الأموى بدمشق :

كان الجامع الأموى بدمشق يعد من عجائب الدنيا ، فقد أنفق الوليد ابن عبد الملك على بنائه خراج المملكة سبع سنوات ، وظل العمل فى بنائه ثمانية أعوام ٠ قيل : انه لو مكث الانسان فيه مائة سنة لراى فى كل يوم أعجوبة لم يرها من قبل وقد وصفه ابن جبير فى رحلته فبين أن فيه

---

(١) عيون الانباء لابن ابى اصيبعة ج ٢ ص ٢٠٧ ٠

حلقات للتدريس للطلبة ، وللمالكية زاوية للتدريس يجتمع فيها طلبة المغاربة ومرافقه للغرباء كثيرة وواسعة • وبه مدرسة للشافعية • وفيه عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والبعد عن ازدحام الناس •

وكان للخطيب البغدادى بهذا المسجد حلقة كبيرة سنة ٤٥٦ هـ وكان الناس يجتمعون اليه فى صـــباح كل يوم فيقرأ لهم دروســا فى الحديث •

ولم يكن التعليم فى المساجد والجوامع مقصورا على العلوم الدينية بل شـــمل فروعا كثيرة من العلوم كالنحو والأدب والشـــعر والفلك والحساب • وكانت أبوابها مفتوحة للجميع من الراغبين فى الدين والعلم والدراسة فى متناول جميع الطبقات من الطلاب لا تقتضى مالا ولا جاها وكان لبعض الأســـاتذة رواتب معينة من الأوقاف ، وبعضـــهم يكسب معيشته بعرق جبينه ويقوم بالتدريس بالمجان ابتغاء الثواب من الله •

فالمسجد أو الجامع لم يكن خاصا بالعبادة ولكنه كان أيضا مكانا للتربية والتعليم والنظر فى شئون الدين والدنيا •

التعليم فى دور الحكمة ودور العلم :

فى عصر الدولة العباســـية كان المسلمون قد اختلطوا بالشعوب المختلفة وتأثروا بحضاراتها فانتعشت الأفكار وتسابق علماء المسلمين فى معرفة علوم الأقدمين وترجمة الكتب الأجنبية الى اللغة العربية وخاصـــة فلسفة الاغريق وعلومهم وتنافســـوا فى جمع المؤلفات العالمية النفيسة القديمة فى دور الحكمة ودور العلم لنقلها ودراستها والانتفاع بما فيها من ذخائر • وقد ترجم عدد كبير من الكتب النادرة ونبغ من علماء العرب محمد بن موسى الخوارزمى العالم الشهير المعروف بالنبوغ فى علم الفلك وأبو جعفر محمد الذى كان من الفائقين فى علوم الهندسة والحساب والمنطق ، فدور الحكمة ودور العلم هى جامعات بها دور عامة للكتب ، فيها كثير من العلماء فى المواد المختلفة لقراءة تلك العلوم وافادة من يحضر اليها من طلاب العلم والمعرفة وارشادهم الى المراجع التى يريدون الرجوع اليها فى دراساتهم وبحوثهم للتعمق فى الدرس بطريقة تعودهم البحث الشخصى والاستقلال الفكرى

وقد حاكى الفاطميون فى مصر العباسيين في بغداد فى انشاء دور الحكمة ودور العلم بالقاهرة لدراسة فلسفة الاغريق وعلومهم مع العلوم الاسلامية • وقد قال المقريزى (١) ان دار الحكمة فتحت بالقاهرة سنة ٣٩٥ هـ وفرشت وزينت وعلقت الستائر على أبوابها وجلس فيها الفقهاء والعلماء والأطباء لتدريس علوم الفقه والنحو واللغة والطب وأقبل عليها الطلبة للدراسة والقراءة والاطلاع والناس للاستماع والنساخ لنسخ ما يريدون من الكتب النفيسة التى زودت بها وحملت اليهـــا من خزائن القصـور . وعين لها خدم لخدمة العلماء والطلاب .

وقد زودهـــا الحاكم بأمر الله بكتب نفيسة فى العـلوم والآداب ومخطوطات نادرة وأهداها الى دار الحكمة وأباح لمن يرغبون فى القراءة الانتفاع بها ودراستها والنظر اليها • وأقبل الناس عليها لقراءة الكتب أو نسخها أو تعلمها • وزودها الحاكم أيضا بما يحتاج اليه الناس من حبر وأقلام ومحابر وأوراق للكتابة •

واستمرت دار العلم فى القاهرة الى سنة ٥١٦ هـ حينما أمر الافضل باغلاقها •

وانك تجد فى تاريخ دار الحكمة ببغداد بعض الغموض بعد عصر الخليفة المأمون ، والخلاصة أن دور الحكمة ودور العلم كانت بمثـــابة جامعات أو معاهد عالية للتخصص ، بها دور كتب للدراسة والاطلاع والنسخ ولم تنتشر فى جميع البلاد الاسلامية بل كانت فى مصر والعراق وبلاد فارس • ولم تكن صبغتها كالمعاهد الاسلامية الأخرى فانها عنيت بدراسة العلوم الدينية كما عنيت كل العنـــاية بدراسة العلوم الدنيوية والفلسفية • وفى الوقت الذى كان يؤمها الطلبة للتخصص والدراسات العالية كان يقصدها طلبة آخرون للقـراءة والثقـــافة المختلفة ونسخ مايريدون من الكتب النفيسة •

---

(١) الخطط للمقريزى جـ ٢ طبع مصر ١٣٥٦ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٦ •